المحاضرة الأولى الشعر في العصر الجاهلي

إن العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة، فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده، ولكن الباحث في الأدب الجاهلي لا يتسع في الزمن به هذا الاتساع إذ لا يتغلغل به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية.[1] وهذا ما يدل عليه الجاحظ بوضوح إذ قال: "أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن أوّل من نهج سبيله وسهل الطريق إليه أمرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن أبي ربيعة. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام وهي ملاحظة دقيقة لأنّ ما قبل هذا التاريخ في الشعر العربي مجهول."[2]

فنقف بالعصر الجاهلي عند هذه الفترة المحدودة، أي عند مائة وخمسين عاما قبل الإسلام. وما وراء ذلك يمكن تسميته بالجاهلية الأولى وقد وردت في الذكر الحكيم مصداقًا لقوله تعالى: "ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى"[3]، وهو يخرج عن هذا العصر الذي ورثنا عنه الشعر الجاهلي واللغة العربية والذي تكامل فيه نشوء الخط العربي.

وينبغي أن يعرف أن كلمة الجاهلية" التي أطلقت على هذا العصر ليس مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، وإنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله عزّ وجلّ وما ينطوي فيها من سلوك خلقي كريم.[4]

ودارت الكلمة (الجاهلية) في الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب والعصبية.

ففي سورة البقرة "قالوا أتتخذنا هزؤًا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين"[1] وفي سورة الأعراف "خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين." [2] وفي سورة الفرقان: "عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلين قالوا سلاما"[3]

---

[1]– شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 33، 1960، ص 380.

[2]– الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق كمال عبد السلام محمد هارون، مطبعة الحلبي، الجزء الأوّل، ط 2، 1384 هـ-1965م، ص 74.

[3]– سورة الأحزاب، الآية 33.

[4]– شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 39.

وفي الحديث الشريف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر وقد عير رجلا بأمه "إنك أمرؤ فيك جاهلية"

وفي معلقة عمرو بن كلثوم الثغلبي يقول :

ألا لا يجهلن أحد علينا ***فنجهل فوق جهل لجاهلينا[4]

وأوضح أن هذه النصوص جميعًا أن الكلمة (الجاهلية) استخدمت من قديم للدلالة على السفه والطيش والحمق. وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام.

كانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من طبقات ثلاث أبناؤها وهو الذي يربط بينهم الدم والنسب وهم عمادها وقوامها والعبيد وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة والموالي وهم عتقاؤها والخلعاء التي خلعتهم قبيلتهم وهم طائفة من الصعاليك المشهورة فيتخذون النهب والسلك وقطع الطريق.[5] منهم تأبط شرا ،السليك بن سلكة ،والشنفرى وعروة بن الورد.

مصادر الشعر الجاهلي:

أ- المعلّقات: وهي مشتقة من كلمة "العلق" بمعنى النفيس، ويقال أوّل من رواها مجموعة في ديوان خاص بها "حماد الرواية" وهي عنده سبع "أمرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى وطرفة بن العبد ولبيد بن يعمر وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلِّزة وعنترة بن شداد ونراها عند صاحب الجمهرة (القرشي) سبعًا غير أنه أسقط اثنين من رواية حماد الرواية هما الحارث بن حلّزة وعنترة وأثبت مكانها الأعشى والنابغة الذبياني.

أما التبريزي نجده يجعلها في شرحه عشرًا جامعًا بين الروايتين ومضيفا قصيدة عبيد بن الأبرص. وقيل سميت "بالمعلقات" ،لأن الناس علّقوها في أذهانهم أي حفظوها. ويقال أنها كتبت بماء الذهب وسميت "بالمذهبات" ،ويقال أيضا سميت بالمعلقات لأنها علقت على جدار الكعبة.

---

[1]– السورة البقرة، الآية 67.

[2]– سورة الأعراف، الآية 199.

[3]– سورة الفرقان الآية 65.

[4]– أبي عبد الله حسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، اعتنى به وعلق عليه علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ- 2003م، ص 171.

[5]– شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 67.

وللمعلقات قيمة أدبية لأنها تصور البيئة والحياة الجاهلية أوضح تصوير وأشمله ثم أنها تتميز بموضوعاتها المتنوعة وأسلوبها القوي، إضافة إلى أن أصحابها كانوا أهم شعراء الجاهلية.[1]

ب- المفَضَلِيَّات: نسبة إلى المفضّل الضَبِي راوي الكوفة الثقة ونشرها في مائة وستة وعشرون قصيدة أضيف إليها أربع قصائد وجدت في بعض النسخ ،حيث يقول ابن النديم: "هي مائة وثمانية وعشرون قصيدة وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عن المفضل والصحيحة التي رواها عند ابن الأعرابي.

ويزعم الأخفش أنها كانت ثمانين ألقاها المفضل على المهدي وزاد الأصمعي أربعين، ثم زاد البقية بعض تلامذته. وهي موزعة على سبعة وستون شاعرًا ،منهم سبعة وأربعون جاهليا وعلى رأسهم المرقشان الأكبر والأصغر والحارث بن حلِّزة وعلقمة بن عبدة والشنفرى وبشر بن أبي حازم وتأبط شرا وعوف بن عطية وأبو قيس بن الأسلت الأنصاري وبينهم امرأة من بني حنيفة ومجهول من اليهود ومسيحيات.[2]

ج- الأصمعيات: نسبة إلى الأصمعي راويها وقد بلغ عدد قصائدها اثنتين وتسعون وهي موزعة على واحد وسبعون شاعرًا،منهم نحو أربعون جاهليًا على رأسهم أمرؤ القيس والحارث بن عباد ودريد بن الصِّمة والأصبع العدواني وطرفة بن العبد وعروة بن الورد وقيس بن الخطيم ،وبينهم يهوديان من الشيعة بن الغريض والسموال.

- جمهرة أشعار العرب لأبي محمد بن أحمد بن أبي الخطاب القرشي: وهي تظم تسعًا وأربعون قصيدة طويلة موزعة على سبعة أقسام من كل قسم سبع قصائد.[3]

- القسم الأوّل خاص بالمعلقات: فقد أخذ فيها الرواية أنها سبع وأسقط منها معلقتي الحارث بن حلِّزة وعنترة بن شداد ووضع مكانهما الأعشى والنابغة.

- القسم الثاني المجمهرات: وهي لعبيد بن الأبرص وعدي بن زيد وبشر بن أبي حازم وأمية بن أبي الصلب وخداش ابن زهير والنمر بن تولب وعنترة.

- قسم المختارات والمنتقيات: وهي مختارات من الشعر الجاهلي والإسلامي موزعة على ثلاث أقسام أهم في القسم الأوّل الشنفرى، طرفة بن العبد ولقيط الأيادي والمتلمس.

---

[1]–نور الدين مهري، النص الأدبي القديم، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ج1، ط1، 2015، ص 20–21.

[2]– شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 176–177.

[3]– نفس المرجع السابق، ص 177.

أما القسم الثاني من دواوين زهير وبشر بن أبي خازم وعبيد الأبرص.

وأما القسم الثالث فمختارات الخطيئة في ديوانه.

وتدخل في هاته المختارات دواوين الحماسة لأبي تمام موزعة على عشرة أبواب وهي مقطوعات لجاهليين وإسلاميين وعباسيين.

وهناك حماسة البحتري:وهي مقطوعات موزعة على مائة وسبعون بابًا أغلبها من الشعر الجاهلي.[1]

أغراض و موضوعات الشعر الجاهلي:

أ- **الغزل:** هو التغني بالجمال وإظهار الشوق إليه والشكوى من فراقه، وهو التشبيب بالحبيبة ووصفها عبر محاسنها ومفاتنها وهو نوعان: غزل عفيف (عذري) وغزل صريح (ماجن) .من مواضيعه الوصف والتشبيه والمدح والفخر حيث يقول كعب بن زهير:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ***متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا***إلا أغن غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ***لم يشتكي منها قصر ولا طول[2]

ب- الهجاء: وهو نقيض المدح يعبر عن سخط واشمئزاز شخصية ما أو قبيلة،فيذكر صفاتها الذميمة وخلقها وخِلقها ومن موضوعاته :الكره والحقد والتذمر والنقد....

يقول الحطيئة مهاجيًا نفسه:

أبت شفتاي اليوم إلاّ تكلمًا *** بشر فما أدرى لمن أنا قائله

أرى لي وجهًا سود الله خلقه *** وقبحٌ من وجه قبح حامله[3]

ج- الفخر: هو الاعتزاز بالفضائل التي يتحلى بها الشاعر أو القبيلة ،وبتعداد الصفات الكريمة لمن يفتخر به وتحسين السيئات منها وموضوعاته الشجاعة والكرم والمروءة والوفاء والحلم وعراقة الأصل وحماية الجار والنزيل...

وهو فخر ذاتي : أي يفتخر الشاعر بنفسه حاصرًا نفسه منه قول الشاعر عنترة ابن شداد:

يخبرك من شهد الوقيعة أنني *** أغشى الوغى وأعف عند المغنم[1]

---

[1]– نفس المرجع السابق، ص 178-179

[2] –كعب بن زهير بن أبي سلمى – أبو المضرب – "الديوان" صنعه أبو سعيد السكري، شرحه مفيد قميحة ،دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1410 هـ- 1989م، ص 109.

[3]– الحطيئة ، الديوان ،الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط 2، 1414 هـ-1994م، ص184

وفخر جماعي: وهو يفتخر بالقبيلة والاعتزاز بها وذكر نسبها ومحاسنها وقوتها وجبروتها منها قول عمرو بن كلثوم لما قتل عمرو بن هند في معلقته:

إذا بلغ الفطام لنا صبى *** تخرُ له الجبابرة ساجدينا [2]

ك- المدح: وهو ذكر المحاسن ،وهو الثناء بذكر الجميل وإحسان الثناء على المرء بما له من صفات حسنة، وهذا قول النابغة الذبياني في مدح الملك النعمان بن المنذر:

وإنك شمس والملوك كواكب *** إذا طلعت لم يَبْدِ منهن كوكب

هـ- الرثاء: هو تعداد خصال الميت بما كان يتصف به من صفات كالكرم والشجاعة والعفة والعدل والعقل، وهو التفجع على الميت والتأسي والتعزي عليه، وهو ثلاث أقسام العزاء، والتأبين والندب. وهذا ما نجده في مرثية الخنساء لأخيها صخر:

أعيني جودا ولا تجمدا *** ألا تبكيان لصخر الندى؟

ألا تبكيان الجواد الجميل؟ *** ألا تبكيان الفتى السيدا؟

و- الحماسة: هي الافتخار بخوض المعارك والانتصارات في الحرب. فالحماسة تدخل في باب الفخر منها قول الشاعر عنترة بن شداد:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل *** مني وبيض الهند تقطر من دمي[3]

فوددت تقبيل السيوف لأنها *** لمعت كبارق ثغرك المتبسم

خصائص ومميزات الشعر الجاهلي:

- أغلبية القصائد القديمة تقف على الأطلال والبكاء عليها لطبيعة حياتهم القائمة على الترحال والانتقال من مكان إلى آخر وطبيعة العربي يحن إلى ماضيه. حيث أوّل من وقف على الأطلال ابن خدام على قول الشاعر أمرؤ القيس:

عوجًا على الطلل ألمحيلي لعلنا ***نبكي الديار كما بكى ابن خدام

- الاعتماد على الوصف وكثرة التشبيهات.

- الدقة والمتانة في الأسلوب.

---

[1]– الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 197.

[2]– نفسه، ص 180.

[3]– الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 197.

- تصوير الشاعر حياته وأمانيه ومطامحه ولذاته ولهوه.
- الصدق في التعبير بالرغم من أنه كان فيه مبالغة أحيانًا.
- تصوير الحياة البدوية الصحراوية والحياة الجاهلية ووصفها.
- تكرار الصور والمعاني.
- كثرة الألفاظ الغريبة والوحشية المستمدة من البيئة البدوية الجافة ووحدة البيت وقوة اللفظ.
- البساطة في التعبير.
-الإطالة، كان يعمد الشاعر أن يكون طويل النفس.
- قلة المحسنات وألوان التزيين والزخرف البديعي.
- جزالة الأسلوب والجمال والصدق والتنقل في الخيال.
- وحدة البحر والقافية وحرف الروي للقصيدة الواحدة.

المحاضرة الثانية: شعر الصعاليك في العصر الجاهلي

إن الصعلوك في اللغة هو الذي لا يملك من المال ما يعينه على أعباء الحياة[1]. أما في الجاهلية أخذت الصعلكة دلالة أخرى. فقد أخذت تدل على من يتجردون للغارات وقطع الطرق.[2]

والصعاليك: هم جماعة من الفقراء اللصوص خرجوا عن طاعة رؤساء قبائلهم ولم يخضعوا للأعراف التي في القبيلة، بل تمردوا عليها ولم يتقيدوا بالتزام القبيلة أو مخالفة قبائل أخرى ويُغيرونَ على البدو والحضّر. ويقطعون الطريق ويسلبون. وكانوا يقولون الشعر الذي يصور أحوالهم، وقد يجتمعون معًا في بعض الأحيان في غزو بعض القبائل.

ولهم عدّة أسماء منها : اللصوص، فُتاك، شياطين، شطار، ذؤبان (ذئاب) [3]

أنواع الصعاليك:

أ- **أغربة العرب:** وهم أبناء الحبشيات السود من الإماء .كان البعض من العرب ينفون من إلحاقهم بنسبهم وينبذونهم فكانوا يتمردون على ذويهم ويخرجون إلى الصحراء، كما فعل السليك بن السلكة والشنفرى وتأبط شرا.

ب- **الخلعاء:** هم جماعة خرجوا على عادات وتقاليد القبيلة وتمردوا على أعرافها وقد تخلت عنهم قبائلهم لما ارتكبوه من جرائم وحماقات،وهؤلاء كانت تخلعهم قبائلهم مثل حاجز الأزدي وقيس بن الحدادية الجزاعي.

ج- **المحترفون:** هم فئة احترفت الصعلكة احترافًا وهذه الطائفة كانت تظم أجزاءًا وقبائل مثل عروة بن الورد العبسي وقبيلتي فهم وهذيل التي كانتا تنزلان بالقرب من الطائف ومكة.[4]

أسبابها:

أ- **عدم وجود دولة جامعة:** أي غير مسيطرة للقانون، وضعف سلطتها ،أي لم يكن لديهم أعراف بسبب ضعف الدولة وسلطانها.

---

[1]– محمد بن يعقوب الفيروز أبادي مجد الدين ،"القاموس المحيط"، تحقق محمد نعيم العرسوقي ،مؤسسة الرسالة ، ط8، 1426 هـ-2005م، ص 312.

[2]– عبد الحكيم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ، 1987، ص 17.

[3]– نفسه، ص 20.

[4]– شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 33، 2013، ص 375.

وعدم وجود قوة حيوية متحركة تسيطر على الأمة،بأنهم مرتبطون بهذه القوة وخاضعون لها خضوعًا يؤخذ في سلوكاتهم.

ب- زعامات غير متزنة: إن عدم وجود هذه السلطة ترتب عليه أمورا أخرى ساهمت في الصعلكة وفي المجتمع الجاهلي. وكانت هذه الزعامات تتمثل في رؤساء القبائل والعشائر،وتتمثل في قوّة الشخصية للزعيم في قبيلة وضعفها لدى قبيلة أخرى.[1] لذلك نجد هناك حرية في غياب القانون الذي يفرضه على المجتمع مما يؤدي إلى خروج الصعاليك من هاته القبلية بسبب جباروت زعيمها.

ج- عدم التوازن بين الفقير والغني: أدى هذا إلى ظهور صعلكة الشعراء وهناك تظهر شخصية عروة بن الورد وأبا الصعاليك"، و"عروة الصعاليك" احترف الصعلكة لينصر الضعفاء المقهورين من الأقوياء المستغلبين،ويحسن للفقراء من كرمه ونهبه للتجار وأصحاب المال. فيقول مخاطبا إمرأته على الغني والفقير:

ذِعّيني للغنى أسعي فإني *** رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم *** وإن أمسي له كرم وخير
يساعده القريب وتزدريه ***حليلته وينهره الصغير
ويَلقى ذو الغنى وله جلال ***يكاد فؤاده وصاحبه يطير[2]

ويقول الصعلوك السليك بن سلكة لما يأخذه الجوع والفقر في فصل الصيف ويأخذه الدوران الذي تكثر فيه ألبان الناقة.

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني ***إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف

د-طبيعة الأرض والحياة: إن نواحي البيئة نفسها غير متفقة في خصبها ووجودها بالخيرات. فشمال الجزيرة العربية ليس كجنوبها،فشمالها مزدهرة مثل سبأ. والطائف التي أتى لها رسول صلى اله عليه وسلم إثر أزمة لجأ إلى ثقيف وتم إيذائه إياه،وكذلك نجد يثرب (المدينة) منها نجد اليمامة فكلها كانت مناطق خصبة عكس جنوبها التي تمتاز بالقحط والقسوة عن طبيعتها،وهي تساعد على الاختفاء حينما يطلبون الخفية لطابعها الجبلي الصحراوي،ويرى ابن خلدون في قوله: "وذلك أن بطبيعة التوحش

[1]– عبد الحليم حنفي ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ص 53.

[2]– عروة بن الورد. ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د ط 1998، ص 79.

الذي فيهم، أهل بيئة قاسية عنيفة يسودها الشدة وانتهاب وعبث و ينتهون ما قدرو عليه من غير مغالبه و لا ركوب خطر ويفرون إلى منتجعهم بالفقر"[1]

ويصف لنا الشنفرى ليلة اشتداد البرد حتى أن صاحب القوس ليضطر إلى تحطيم قوسه التي تقوم عليها حياته ليستدفئ بها وبأدواتها فيقول:

وليلة نحسٍ يَصْطَلي القوس رَبَهَا *** وأقطعه اللائي بها يتنبل[2]

ويصف لنا مرة أخرى الشنفرى الحر الشديد حتى الأفاعي لم تحتمل العيش في الصحراء بإعتبارها موطنها فيقول:

ويوم من الشِعري يَذُوبُ لَوابه ***أفاعيه في رمضائه تَتَململ[3]

هـ- الحروب والثورات: ما يعرض في حياة الجماعات والأمم تتميز بأنها محدودة يؤدي إلى انتشار الأخذ بالثأر مثل ما حصل في حرب الباسوس بين قبيلة بكر وثغلب.

وهذا ما وقع مع الشنفرى الذي أقسم أن يقتل مائة من العدو،ومن قبيلة بني سلامان من قبيلة أزد الأردنية وهذا انتقاما لمقتل أبيه من طرف هذه القبيلة. لكنه توفى في الضحية التاسع والتسعون ويقال بأن المائة أنه راعي كان يرعى وسقط على جمجمة الشنفرى فأردته قتيلاً، لأن لما ألقي القبض عليه قتل وترك في الصحراء للضباع والسباع.

و- التجارة: فكانت هناك الأسواق التجارية حوالي 13 سوقًا فهناك انتشرت الصعلكة،فكان من أصحاب المال يجيزون الصعاليك في رحلتهم حتى لا يتعرض لهم أدى ويذهبون معهم لتوفير الحماية لهم من أعداء.وهاهو السليك بن سلكة الذي أعطى له الملك بن المولیك الخشعمي بعض من غنائمه على أن يجيزه فيتجاوز (خشعهم) إلى ما وراء من أهل اليمن. كذلك كانت هناك رحلتان لقريش رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، حيث كانت تتعرض هاتين الرحلتين لقطاع من الصعاليك وهنا يقول الأحيمر السعدي أحد الصعاليك يجعل سيفه قاهرًا على أموال التجار فيقول:

تَعِيرُني الأقدام والبدر معرض ***وسيفي بأموال التجار زعيم[4]

---

[1]– عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، المكتبة المصرية، القاهرة، دط–د ت، ص 141.

[2]– عمرو بن مالك، ديوان الشنفرى، تحقيق وجمع وشرح الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب للحربي، بيروت، ط2،دت– ص 69.

[3]– نفسه ص 71.

[4]– عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ص 67.

ونجد أيضا الرحلة نحو الحج إلى الكعبة لعبادة الأصنام ،حيث كانوا هنا ينهب الصعاليك كل أمتعتهم ويسرقون أموالهم...

الخصائص الفنية لشعراء الصعاليك:

- التخلي عن المقدمة الطللية مثل لامية الشنفرى.
- تميز شعرهم بالوحدة الموضوعية.
- خلو قصائدهم من الغزل الذي عُهد في الشعر الجاهلي،حيث كان الإكثار من توجيه الخطاب في شعرهم لزوجاتهم لا التغزل بهم.
- أغلب شعرهم مقطوعات لا قصائد مطولة.
- الصدق في التعبير والاعتماد على الواقعية.
- عدم الاهتمام بالصنعة اللفظية والتنميق.
- النزوع إلى أسلوب القصة غالبا.
- صيحات الفقر والجوع والحرمان في شعرهم.
- امتازت قصائدهم بالشجاعة والصبر والثورة على الأغنياء والأشحاء والبأس.
- شيوع الألفاظ العربية وأشعارهم التي تولد على طبيعة الحياة القاسية (أسي.باسي....)
- اتسمت لغتهم الشعرية بالترفع والسمو والشعور بالكرامة في الحياة وهذا خداش الهزلي يقول:

وإني لأثوى الجوع حتى يَمِلني ***فيذهب لِمَ يدنس ثيابي ولا جرمي

إن شعر الصعاليك أشبه ما يكون بالمذكرات الشخصية التي يدون الشخص فيها أفكاره ومشاعره وما يحسه حوله في موقف من المواقف، وموقف الصعاليك هو الصعلكة بما يلابسها من أسباب تدفع إليها كالفقر والحاجة ومخاطر يتعرضون لها في مزاولة الصعلكة من أعداء ووحوش ومتاعب.

المحاضرة الثالثة: الشعر في صدر الإسلام

ينتهي العصر الجاهلي بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة سنة 622م لتكون هاته السنة بداية العصر الإسلامي، وينتهي بمقتل الإمام علي بن أبي طالب سنة 40هـ/661م بعد أن طعنه عبد الرحمن بن ملجم.

أتى الإسلام وحرر العرب من العصبية القبلية ودعا إلى مكارم الأخلاق والعبادات من زكاة وصلاة وصوم... وأحسن لهم حسن معاملاتهم فحدد الحقوق والواجبات حيث أعطى للمرأة حقوقها وذكرها بواجباتها وثمن دورها في المجتمع بعد ما كانت في الجاهلية لا تتمتع به، فأصبح لها حرية ويحقق لها اختيار الزوج ومشاركة الزوج على أعباء الحياة ووضع لها الميراث.[1] وفكّها من العبودية.

وحرم الخمرة التي كانت في العصر الجاهلية لها قيمة والافتخار باحتسائها وتقديمها للضيوف، حيث مر تحريمها على ثلاث مراحل وطبقات من القرآن الكريم. وكذلك القمّار كان له نفس الخمرة في تحريمه كما حرم الأخذ بالثأر ووضع له قصاصًا .

وبذلك يكون الإسلام قد أحدث انقلابا شاملاً على المجتمع الجاهلي وأسس مجتمع جديد يختلف جذريًا في عقائده وقيمه وأعرافه ومواصفاته وممارساته من المجتمع السابق[2]

موقف الإسلام من الشعر:

لقد صنف القرآن الحكيم شعر الشعراء إلى شعراء مؤمنون لم يخرجوا عن حدود التعاليم الإسلامية. وشعراء ضالون بما قالوا من شعر هجين غير أنه وبالرغم من نبذ الإسلام لشعر هؤلاء فإنه بقى متسامحًا معهم لأنهم يقولون ما لا يفعلون وثمة فرق بين القول والفعل.

وكل هذا تدلها الآية الكريمة من سورة الشعراء "والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم ترى أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ،إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"[3].

أما موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء كان له موقفان حيث اعتبر الشعراء أداة هجينة كشرب الخمريات والغزل الفاحش والهجاء المقذع الذي يمس كرامة الغير،وخاصة ذلك

---

[1]– نور الدين مهري، النص الأدبي القديم، ص 44.

[2]– نفسه الصفحة نفسها.

[3]– السورة الشعراء، ص 227.

الهجاء الصادر عن المشركين ضد المسلمين والنبي صلى الله عليه وسلم الذي يمس أعراضهم وعقيدتهم قال: "لإن يمتلأ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلأ شعرًا"[1] وأيضا قوله: "من قال في الإسلام شعرا مقذعًا فلسانه هدر"

أما الموقف الذي يحمل القيم والأخلاق الحسنة التي يتعارض مع التعاليم والمبادئ الإسلامية. وخاصة ذلك الذي يدافع عن الإسلام والمسلمين فكان الرسول (ص) يستمع كثيرا لشعر حسان بن ثابت ويحثه عن هجاء المشركين لهجائهم للعقيدة الإسلامية. حيث قال: "هاجوهم وجبريل معك " وأنه كذلك سمع لكعب بن زهير لما قام بمدحه في قصيدة "البردة" ،وأعجب بشعر لبيد بن ربيعة وأحب شعر عنترة بن شداد فقال فيه :"ما وصف لي إعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة"

والخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أحب شعر زهير بن أبي سلمى فقال فيه:" لأنه كان لا يعاضل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر ولم يمدح أحدًا إلا بما فيه"[2] .فهو سهل العبارة لا تعقيد في تراكيبه ولا وحشي في ألفاضه ومعانيه، بعيدة الغلو والإفراط في الثناء الكاذب فهو لا يمدح الرجل إلا بما فيه من فضائل .وشعر زهير يكمن في أنه حسن العبارة والمعاني وجميل الصياغة.

وكذلك لعمر موقف آخر في الشعر الذي فيه هجاء ومعاقبة أصحابه عليه فلأن هذا اللون ينال من أخلاق المهجو ويشوه صورته ويحط من مروءته وعرضه،فهو نوع من القذف يرفضه الإسلام ويعاقب عليه.

الأغراض الشعرية في صدر الإسلام:

1- الغزل: إن مجيئ الإسلام دعا إلى نبذ الغزل الماجن وأبقى عن الغزل الطاهر العفيف عكس ما كان في الجاهلية الذي كان منتشرًا فيه الماجن (الصريح) ،حيث نهى النبي (ص) التشبب بالنساء والتجريح في جسدها وذكر مفاتنها وعوراتها ووصف أطرافها بوصف يخدش الحياء.

لكن لم يأخذ الغزل نصيبًا وافرًا إلا ما نذر،وما ذكر في مطالع قصائد الشهداء المسلمين مثل ما قاله الشاعر كعب بن زهير في قصيدته "البردة"مادحا الرسول (ص) بعدما وقف على الأطلال وبكى واستبكى عن فراق محبوبته:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *** متيم إثرها لم يفد مكبول

---

[1]– صحيح البخاري فتح الباري، دار الريان للتراث د.ب، د. ط، 1407هـ/ 1586م، ص 564.

[2]– شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 6، 1963، ص 96.

2- **الهجاء:** كان الهجاء في هذا العصر يتميز بذم المشركين والسخرية منهم بعدم إيمانهم بالإسلام واتباعهم سنة الرسول الكريم –ص- واتباعهم عبادة الأوثان والأصنام. إلا أنه بالمقابل هناك شعراء نالوا من المسلمين أعابوا عليهم ترك ما عبد أباؤهم وكذلك من تجرأ وهجا النبي (ص) ونبذ الإسلام الهجاء؛هجاء الأشخاص من هجاء مقذع وهذا ما حدث مع الحطيئة الذي هجا الزبرقان بن بدر ويقول:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ***وأقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[1]

فشكى الزبرقان الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه ، فقام بسجنه واستعطفه الحطيئة في أبيات كان مطلعها:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ *** زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ *** فاغفر عليك سلام الله يا عمر[2]

ففك أسره الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- وتوعده ألا يعود لمثل هذا الهجاء المقذع الذي يمس كرامة الإنسان.

وكذلك كان هناك هجاء المسلمين للمشركين ردًا عليهم لما هجوا النبي (ص) وها هو حسان بن ثابت يهجوا ردًا على أبي سفيان بن الحارث فيقول:

هجوت محمدا فأجبت عنه *** وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء *** فشركما لخير كما الفداء[3]

3- الرثاء: لقد كثرت الحروب والغزوات بين الكفار والمسلمين فكثر القتل والموت من كلا الطرفين واقتصر الرثاء في هذا العصر على رثاء المسلمين وشهدائهم في سبيل الله والدعاء لهم بأن مثواهم الجنة، كما امتازت عاطفة الشاعرة اتجاه المرثي بحرارة على فراق الحياة، وكثرت قصائد المراثي النبوية بعد موت النبي (ص) وهذا ما ذكره حسان بن ثابت:

فبوركت يا قبر الرسول بوركت *** بلاد ثوى فيها الرشيد المسددُ.[4]

وما فقد الماضون مثل محمد *** ولا مثله حتى القيامة يفقدُ

---

[1]– الحطيئة، الديوان ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1426 هـ-2005م، ص 183.

[2]– نفسه، ص 89

[3]– حسان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414 هـ- 1994م، ص 195.

[4]– نفسه ، ص 60.

وكذلك نجد أبى سفيان بن الحارث في رثائه للنبي (ص) بعد دخوله الإسلام:

لقد عظمت مصيبتنا وجلت *** عشية قيل: قُبض الرسول

نبيّ كان يجلو الشك عنّا *** لما يوحي إليه وما يقول[1]

4- الفخر: إن المعارك التي قامت بين الكفار والمسلمين والغزوات الكثيرة أظهروا فيها المسلمون بطولات وشجاعة،وحث القرآن الكريم المسلمين على المشاركة في الحروب. وكان الافتخار بالانتصارات وكذلك الفتوحات التي كانوا يقومون بها فيقول كعب بن زهير في فخره بانتصار المؤمنين في غزوة بدر على الكفار:

ويوم بدركم لنا مدد *** فيه مع النصر مكيال وجبريل.[2]

5- المدح: بعد أن كان المدح في العصر الجاهلي يتناول أشخاصًا كثيرين والأسباب عديدة و مختلفة منها المدح ألتكسبي الذي كان مدحًا للملوك وأصبح في العصر الإسلامي المدح مقتصرًا عن مدح النبي "ص" على الأكثر منها مدح كعب بن زهير للنبي (ص) في قصيدة البردة يقول:

إن الرسول لنور يستضاء به *** مهند من سيوف الله مسلول[3]

ومدح كذلك حسان بن ثابت النبي (ص) :

نبي أتانا بعد يأس وفترة *** من الرسل والأوثان في الأرض تعبد

ومدح مالك بن عوف النبي (س):

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم كمثل محمد

أوفى وأعطى للجزيل اذا أجتدي و متى تشأ يخبرك عما في الغد

خصائص الشعر في صدر الإسلام:

[1]–أبو سفيان بن الحارث، الديوان، تحقيق فاروق أسليم بن أحمد، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ص 47.

[2]– ديوان كعب بن زهير، 113.

[3]– ديوان كعب بن زهير، ص 115.

[4]– ديوان حسان بن ثابت، ص 196.

- شعر لغته من لغة القرآن.

- اختصت معاني الشعر بالمديح بفضائل النفس الإنسانية والعدل والشجاعة والرفعة ونصرة الإسلام دين الحق.

- اعتدال طول القصيدة وارتباطها بالتجربة الشعورية.

- أسلوب خالي من التكلف بعيدا عن الصنعة يقوم على التشخيص والتشبيه والاستعارة والكناية والمقابلة.

- أوشكت الوحدة الموضوعية أن تسود الشعر الإسلامي كله.

- أبرز مطالع قصائدهم رموزا للحياة الدنيا والنصر وصلة الرحم والجهاد والكرم ووصف الرحلة والضغائن وجمع القبيلة والوحدة والتوحد.

- تصوير الحياة والإنسان والطبيعة.

- عمق إحساس شعرائه واستقلاليتهم في التعبير.

- هيكل القصيدة ووحدتها كانت فواتح إسلامية للقصائد فشملت في تسبيح الله والدعاء والمناجاة والترحم في الشهداء والحِكم الإسلامية الخالصة والتوبة وحمد الله وشكره.

- ختم قصائدهم بأبيات على صيغة المثل في سهولة إيقاعه أو بجواب على السؤال كان للشاعر.

- إبراز العاطفة التي تضمنتها تجربة للشاعر.

نخلص في الأخير إلى مدى قوة وضعف الشعر في عصر صدر الإسلام لنقف على رأيين: فالرأي الأول الذي نادى بضعف وقلة الشعر في هذا العصر بسبب تشاغل العرب بالقرآن الكريم وتفسيره وكذلك بتدوين الأحاديث النبوية الشريفة وتشاغلوا أيضا بالجهاد وغزو بلاد فارس والروم، وجاءت الفتوحات وأدت إلى هلاك العديد من الشعراء والمدونين للشعر والرواة له. وأيضا قلة الأغراض الشعرية التي نهي عنها النبي (ص) منها :الغزل الماجن والهجاء والخمرة ، أما الرأي الثاني يرى بأن الشعر في هذا العصر تطور وازدهر بتطور الأغراض الشعرية فظهر المديح النبوي والمراثي النبوية وشعر الفتوحات وشعر التهاجي بين المسلمين والمشركين وشعر الدفاع عن الرسول (ص) ونصرة دين الحق وشعر الزهد والتصوف والورع.

المحاضرة الرابعة: شعر الفتوحات

_مفهوم شعر الفتوحات :كما يسمى شعر الجهاد وهو الشعر الذي يهدف إلى الإشادة بإقدام وشجاعة الجند أمام قسوة المعارك وضراوة القتال [1] _،وقد ارتبط ارتباطا وثيقا بالمعارك و المغازي ووصف الحياة الجديدة التي آلات إليها شبه الجزيرة العربية بعد مجيء محمد (ص) مبشرا ومنذرا، ويتميز بصدوره عن مشاعر صادقة مرتبطة بلحظات و مناسبات تاريخية مميزة، كالانتصار في غزوة ما، أو تحفيز الجيش عن القتال ، او الحنين للأهل و الأبناء ، أو رثاء قتلى المسلمين وغيرها لذلك يعد سجلا تاريخيا مهما.

و لأنه قريب العهد من العصر الجاهلي فقد تضمن أغراض الشعر الجاهلي من فخر وهجاء ورثاء ، ولكنه حاورها بما يتماشى و العقيدة الجديدة التي قننت حياة الفرد ووجهت سلوكه وتفكيره ونظرا لطبيعة المناسبات التي غالبا ما تلازم القصيدة في ذاك العهد ،تخلى شعراء هذه الفترة عن عادة المقدمات الطللية وعن التغني بالذات تقليدا لأسلافهم الجاهليين ، لذلك جاءت قصائدهم في شكل مقطعات على ألسنة شعراء غير معروفين أخرجت الأحداث مواهبهم و أنطقت ألسنتهم .

أغراضه

1. الفخر والحماسة:

الفخر هو التمدح بالخصال ، وأما الحماسة فهي الشجاعة و الإقدام ،جاء في العمدة:"الافتخار هو المدح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه و قومه، و كل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، و كل ما قبح في المدح قبح في الافتخار"[2]

وقد تميز على غرار الشعر في صدر الإسلام بعدد من المميزات الجوهرية أبرزها: صدوره عن ذات مدركة لدورها في كنف الجماعة بعد أن صار للفرد المسلم دور أكبر من الدور الذي كان موكلا إليه في القبيلة أيام الجاهلية ، و قد عبر الشعراء عن ذلك من خلال وصف بلائهم في المعارك و بلاء قادتهم و انتصار

1_ ينظر النعمان عبد المتعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، الدار القومية للطباعة والنشر ،1965، ص

241

2_ ابن رشيق: العمدة،ج2،ص162

الجماعة التي ينتمون إليها افتخارا بالذات و بها ، فالفخر في الإسلام اتجه اتجاها متشبعا بروحه ، فتغنى بانتصار الإيمان على الكفر و النور على الجهل ، وتخلص من نظرة العصبيات الضيقة ، وعرف مواضيع جديدة كالفخر بالإسلام و المسلمين والانتصار ،و هزيمة الكفر و الإشادة بخصال المسلم، كقول خالد ابن الوليد لما كلف بشن غارة على بلدة العواصم بالقرب من حمص وبها الروم آنذاك:[1]

أخذتها و الملك العظيم وأنني بحملها زعيم

لأنني كبش بني مخزوم وصاحب لأحمد الكريم

أسير مثل الأسد الغشوم يارب فارزقني قتال الروم

وقوله مفتخرا بقوته وبما فعله بالروم:[2]

ويل لجمع الروم من يوم شغب إني رأيت الحرب فيه تلتهب

وكم لقوا منا مواقع النصيب وكم تركت الروم في حال العطب

2ـ الرثاء

وهو من أكثر الأغراض الشعرية علوقا بالنفس، فغالبا ما يصدر عن نفس متألمة ، وهو كباقي الأغراض تداوله العرب منذ الجاهلية لكنه أخذ طابعا خاصا في شعر الفتوحات ، حيث طرق فيه الشعراء معان معروفة لدى أسلافهم من الجاهليين كرثاء الأهل و الأقارب والسادة والقادة ، كما طرقوا مواضيع جديدة تعتبر تجديدا واضحا منهم كرثاء أنفسهم في البلدان الغربية أو رثاء بعض أعضائهم ، و برز فيه معنى الأخذ بالثأر من الكفار ، قال عمار ابن ياسر ينعى سليمان ابن خالد وعبد الله ابن المقداد[3] "

و حق من أعطى لنا نصره في كل واد ثم فتح قريب

لنأخذن الثأر من جمعهم جهرا و نطفي من فؤاد لهيب

3ـ الوصف

قدم شعراء الفتوح قصائد مميزة في غرض الوصف إن لم نقل تقارير عن المعارك و الاحداث التي شاركوا فيها بكل صدق وحماس ، وهذا أشد ما يميز هذا اللون الشعري عن الفترة الجاهلية، فعلى

---

1 ـ أوب عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي: فتوح الشام، تح عبد اللطيف عبد الرحمان، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ،ط1 ،1417ه، 1997م، ج1 ،ص101

2ـ المصدر السابق ،ج1 ، ص144

3ـابو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوزي التادلي : الحماسة المغربية ، تح محمد رضوان الدايو ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ،ط1، 1411ه ،1991م، ص74

1 ـ الواقدي : فتوح الشام، ج2، ص246

خلاف الجاهليين تركزت مواهب شعراء الفتوح في نقل الأحداث و الوقائع نقلا حيا يجعل الصورة حسية ماثلة أمام قارئها ، و مثال ذلك قول خالد ابن الوليد :"[1]

ثلاث مرار نحن نفتح بابها و ترتد للكفر الذميم وتجنح

ثلاثون ألفا قد محتها سيوفنا وأكبادنا من حرها النار تقدح

فجيش المسلمين يمتلك من القوة والصلابة ما مكنه من اختراق صفوف أعداء الإسلام، ففرقهم و شتت جمعهم وجعل النصر من نصيبه.

إن أبرز ما يميز أغراض الفخر و الوصف عند هؤلاء الشعراء هو الصورة التي يرسمها الشاعر لنفسه ولجماعته و كأنه بذلك يشد من أزر الجيش الذي يحارب في صفوفه ، ولعله السبب في جعل هذه الصورة الخيالية عندهم تقترب من الأسطورة أحيانا ، خاصة في معرض تصوير الذات المتفردة تلبية لأغراض نفسية عديدة ، أهمها شد أزر الشاعر لنفسه بها ، ثم بث الخوف و الرعب في قلوب الأعداء ، ثم تشجيع المسلمين و تجديد عزيمتهم.

4ـ الحنين إلى الأهل و الأبناء

و يعد في طليعة المعاني التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بموضوع الفتوحات ، و يأتي هذا الغرض مكملا لمعاني الوصف ونقل مشاعر المجاهدين وهم في ساحات المعارك بعيدا عن الأهل و الأقارب و الأبناء،و من نماذجه قول أبي خراش الهذلي لابنه خراش الذي التحق بجيش المسلمين في فتح الشام:"[2]

ألا من مبلغ عني خراش و قد يأتيك بالنبأ البعيد

و قد يأتيك بالأخبار من لا تجهز بالحذاء ولا تزيد

يناديه ليغبقه كليب و لا يأتي ، لقد سفه الوليد

خصائصه:

1من خصائصه الواقعية ، و السرد على تبيان مشاعر الصبر وتمني الموت طلبا للجنة وهي مصير الصادقين من المجاهدين

2رغم بوادر التجديد التي جاءت بها قصيدة الغزوات إلا أن بعضها ظل محافظا على الطابع العربي الفني، وتقليد الطلل

2ـ المرجع نفسه: ج2، ص287

3ـينظر: راميا محفوظ ، أنس ياسمين ، صورة الذات المتفردة في شعر الفتوحات الإسلامية، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ، مجلد 28، العدد 1، 2006م ، ص133

3 الاضطراب الفني كونه يقال ارتجالا و انفعالا لمواقف معينة ، إضافة إلى عامل آخر أسهم في ظهوره بهذه الصفة المضطربة وهو الانتحال الذي دخل هذه القصائد فنسبت أبيات إلى غير قائليها أو لأكثر من قائل لأسباب دينية أو اجتماعية وربما بسبب اضطراب الفترة وعدم هدوئها لكثرة المعارك و الغزوات بين المسلمين و الكفار

4وحدة الموضوع و التخلي عن بناء القصيدة المركبة ، ما جعل قصائد الفتوحات تأتي في شكل مقطعات قصيرة لا يتجاوز أكثرها الخمسة عشر بيتا ،

المحاضرة الخامسة: المراثي النبوية في العصر الإسلامي

1المراثي النبوية: هي كل "شعر قيل في وفاة الرسول صل الله عليه وسلم حزنا عليه، أو ثناء ، أو ترحما أو غير ذلك من معاني الرثاء"[1] لأن وفاته خلفت حزنا عميقا على نفوس الصحابة،

و المسلمين أجمعين بعد تعودهم عليه بينهم ، يوجههم ويحوطهم برعايته الشريفة ، ما دفع بعدد من أصحابه ومن الشعراء لنظم القصائد معبرين عن عميق الأسى الذي خيم على شبه الجزيرة العربية ، وعن الفراغ الذي وقع بعد وفاته صل الله عليه وسلم ، قال محمد الرابع الحسني :"لقد كانت وفاة الرسول عليه السلام أعنف صدمة نفسية ، وأشدها إيلاما للصحابة رضي الله عنهم فكان لها أن تؤثر و تنشئ آثارا أليمة على نفوسهم"[2]

2 مضامين المراثي الإسلامية : دارت مراثي المسلمين حول معاني كثيرة أبرزها:

أ التسليم بقضاء الله و قدره متأثرين بقول الله تعالى :" ولنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع ونقص من الأموال و الأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون"[3]

3**تعداد صفات الميت :** "من تقوى و إيمان وأمانة و صدق و صبر ، وهي الصفات التي ذكرها حسان بن ثابت وهو يرثي محمدا صلى الله عليه وسلم "[4]

بالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل النبي رسول الرحمة الهادي

ولا مشى فوق ظهر الأرض من أحد أوفى بذمة جار أو بميعاد

من الذي كان نورا يستضاء به مبارك الأمر ذا حزم و إرشاد

و القصيدة مليئة بالاقتباسات من القران الكريم و هذه من أهم الخصائص التي تميز المراثي الإسلامية كقوله:"[5]

نورا أضاء من البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتد

1ـ محمد شمس عقاب: المراثي النبوية في أشعار الصحابة، مكتبة الامام البخاري للنشر و التوزيع ،ط1435،1ه، 2013م، ص20

2ـ محمد الرابع الحسني الندوي: الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 1405ه، 1985م، ص44، 45

3ـ سورة البقرة الآية 155، 156

4ـ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تق عبدا مهنا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1414ه، 1994م ، ص66

5ـ نفسه : ص65

4. كما تميزت بظهور موضوع جديد وهو رثاء الشهداء و مثاله رثاء حسان بن ثابت لحمزة رضي الله عنه لما استشهد في أحد:

أسائله أصحاب أحد مخافة بنات أبي أعجم و خيبر

فقلت لها :إن الشهادة راحة و رضوان رب يا أمام غفور

فإن أباك الخير حمزة فاعلمي وزير رسول خير وزير

ب ـ خصائص شعر المراثي النبوية

1 ـ الصلاة و السلام على المتوفي كما في قول حسان بن ثابت :

فصلى المليك ولي العبا د ورب البلاد على أحمد

ومن ذلك قول فاطمة رضي الله عنها:"[1]

أغبر آفاق السماء و كورت شمس النهار و أظلم العصران

فالأرض من بعد النبي كئيبة أسفا عليه كثيرة الرجفان

فليبكه شرق البلاد وغربها و ليبكيه مضر وكل يماني

2 ـ التعبير عن الفاجعة التي أصابت المسلمين و الصحابة بعد وفاة الرسول صل الله عليه وسلم و نقرأ ذلك في مرثية أبي بكر الصديق:"[2]

باتت تأوبني هموم حشد مثل الصخور فأمست

هدت الجسد

يا ليثني حيث نبئت الغداة به قالوا :الرسول قد أمسى ميتا فقدا

ليت القيامة قامت بعد مهلكه ولا نرى بعده مالا ولا ولدا

3ـ التذكير بأخلاق النبي صل الله عليه وسلم والثناء عليه ومن ذلك قول أبي بكر الصديق:"[3]

كان المصفاء في الأخلاق قد علموا وفي العفاف ، لم نعدل به أحدا

وقوله:" [4] أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

---

1 ــ ابن رشيق: العمدة ،ج2 ،ص171

2ــ محمد شمس عقاب : المراثي النبوية في أشعار الصحابة ،ص35

3ــ ديوان علي بن أبي طالب : جمع نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 1405ه، أيار 1985 م ، ص55

4ــ نفسه ص10

4. التأكيد على حجم الفجيعة و عظمتها و يظهر ذلك في تكرار العبارات و الصور التي تعبر عنها كقول كعب ابن مالك :"[1]

فإن تبكه خير الأنام كثير الفواضل لا يجدب

و إن تبك سهل الجنا ب، محض الضرائب، لا يؤشب

و إن تبكه تبك نور البلا د، ضخم الدسيعة لا يحسب

5. التساؤل عن مصير المسلمين بعده ملمحين إلى الصحابة من بعده بالثناء عليهم وباتصافهم بصفات محمد صل الله عليه وسلم ونقرأ ذلك مثلا في قول عبد الله ابن أنيس :"[2]

فيا ليت شعري من يقوم بأمرنا وهل لقريش يا إمام منازع؟

ثلاثة رهط من قريش هم أزمة هذا الأمر و الله صانع

على أو الصديق أو عمر لها و ليس لها بعد الثلاثة رابع

6. أما من الناحية الفنية فقد تميز هذا النوع من الشعر لغويا باستعمال ألفاظ دالة على الحزن وخاصة عبارة البكاء التي أوردوها في صيغ شتى منها (بكت ، تبكي ، أبكي ، أبك) وعبارة الدموع و التي بدورها ترسم صورا شتى فالسماء والأرض و يثرب تبكي حزنا على ما ألم بها .

ومن العبارات المتكررة تلك الدالة على صفات الرسول صل الله عليه وسلم ، كالوحي و نور الأمين ، المصطفى وغيرها إضافة الى استخدام أساليب الشرط والاستفهام والنداء

1 ـ محمد شمس عقاب : المراثي النبوية في أشعار الصحابة، ص230 ،231

2 ـ نفسه ، ص 238

المحاضرة السادسة: الشعر في العصر الأموي

نشأت الدولة الأموية بعد سنة من مقتل الإمام علي –رضي الله عنه- 41 هـ 662م. وبنو أمية هم أحد أقوام قريش نسبة "لأمية بن عبد شمس" أحد رجالها. قام بتأسيسها معاوية بن أبي سفيان. وبعد مقتل عثمان بن عفان –رضي الله عنه- راح بنو أمية يطالبون بدمه ويعتبرون أنفسهم أوصياء لأن عثمان من بني أمية ،والذي تزعم هذه الحركة هو معاوية بن أبي سفيان،حيث كان أميرًا على الشام.[1]

وحين بويع علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- بقي معاوية على موقفه وتأخر في مبايعة علي. يشترط الأخذ بالثأر لعثمان بن عفان –رضي الله عنه- وبعد مقتل الإمام علي تطورت الظروف وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية، وبايع الناس معاوية بالخلافة ،ولكن بقيت حركات سياسية تعارض الأمويين في السر والعلن، وتعمل على تقويض حكمهم مثل الشيعة والخوارج ،كما عارضهم آل الزبير.

تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب لمعاوية عن الخلافة جمعًا للكلمة ودرءًا للشر،فصار معاوية بذلك خليفة للمسلمين وأخذ يعمل جاهدًا على توطيد حكمه ثم إقراره في بيته والحيلولة بين الهاشميين وبينه. وسلك سبل الترغيب والترهيب وتوجه بالبيعة لإبنه يزيد،وبهذا استقرت الحكومة الأموية.[2] فأصبح الحكم وراثيًا فتداول على حكمها 14 من بني أمية في الشام و9 خلفاء في الأندلس من الأمويين .

كما عرفت الدولة الأموية حكم الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز (61 هـ -101 هـ) الذي شهد حكمه نوعا من الغنى والثراء لا مثيل له من قبل، فامتلأت خزينة بيت المال المسلمين ولم يجد في عهده فقير حتى قيل في عصره كانت الشاة ترعى مع الذئب. دام حكمه من 99 هـ إلى غاية 101 هـ، أي سنتين ونصف السنة.

وعرف عصر بني أمية عدة معارك بين الأمويين والزبيريين منها معركة كربلاء بين يزيد بن معاوية والحسين بن علي بن أبي طالب الذي كان فيها قائد الجيوش الحجاج يوسف الثقافي.

وانتهى حكم الدولة الأموية بعد سقوطها في المعركة الكبيرة على يد العباسيين. 132 هـ/ 750م.

---

[1]– مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عبيد . حسين حسن قطناني، مختارات من الشعر العربي القديم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1431 هـ– 2010م، ص 76.

[2]– نفسه ،ص 77.

الأغراض الشعرية في العصر الأموي:

أ- **الغزل:** لقد نال الغزل قسطا وافرًا من قصائد الشعر الأموي، فتنوع في هذا العصر ورجع الغزل الماجن الذي حرمه النبي (ص) والقرآن الكريم، كما نجد الغزل العذري الذي يبتعد عن وصف المحاسن الجسدية والمعنوية للمرأة. بل يقتصر على إظهار المشاعر الجياشة اتجاهها. وهو ينسب إلى "بني عذرة" وهو يعتمد على الابتعاد عن الإباحية في وصف المحاسن وإظهار المعاناة والألم نتيجة البعد عن الحبيبة ولوعة الفراق بينهما والتغزل بالمحبوبة الواحدة طول حياة الشاعر[1]. ومن أبرز شعراء هذا النوع (الغزل العذري العفيف) نجد قيس بن الملوح في تغزله بابنة عمه ليلى في عدة قصائد نذكر منها:

أَعُدُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ ***وقد عشت دهرًا لا أَعُدُّ الليالیا

أُصلي فما أدري إذ ما ذكرتها ***اثنتين صليتُ العِشاء أم ثمانيا

عشقتك يا ليلى وأنت صغيرة *** وأنا ابن سبع ما بلغت الثمانيا

يقولون ليلى في العراق مريضة *** ألا ليتني كنت الطبيب المداويا

وقالوا عنك سوداء حبشية *** ولولا سواد المسك ما انباع غاليا[2]

وهذا جميل بن معمر أحد شعراء الغزل العذري أيضا الذي أحب وعشق بثينة بنت الحباب يحي من بني ربيعة من قبيلة "عذرة" منذ الصغر،فلما كبر خطبها فمنعه أهلها عنها فزوجوها لرجل آخر،فانطلق بتنظيم الشعر فيها حيث يقول:

أبثين إنك قد ملكت فأسجحي *** وخذي بحظك من كريم واصل

فلرب عارضة علينا وصلها *** بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها بالقول بعد تستر *** حبي بثينة عن وصالك شاغلي.[3]

وهنا وقفة مع الشاعر جرير الذي كان في هجائه للفرزدق ما يعرف بشعر النقائض ،فهو كذلك شعره يمتاز بتغزله الرقيق الذي كان يقدم على الحزن أن يبلغ من هذا الغزل كما يريد من تصوير الحب الخالص الطاهر إذ ما يزال فيه يتلطف ويستعطف ويشكو ويتضرع على شاكلة [1] قوله:

---

[1]– نور الدين مهري، النص الأدبي القديم، ص 70-71

[2]– قيس بن الملوح، الديوان، مجنون ليلى، دراسة يسرى عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1420 هـ-1999م ص 38.

[3]– جميل بن معمر، الديوان، دار صادر بيروت، د ط. د ت. ص 107.

لقد كتمت الهوى حتى تهيمني *** لا أستطيع لهذا الحب كتمانَا

إن العيون التي في طرفها حور *** قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا[2]

* والغزل الماجن (الصريح ، الإباحي) أو ما يسمى بالعمري" نسبة إلى عمر بن أبي ربيعة الذي شاع شعره في هذا النوع من الغزل الذي ينتقل من شكوى الغرام ولوعة الفراق إلى الوصف والغزل الحسي، ويعتبر نقيضا للغزل العذري،وهو يمتاز على عدم ثبات الشعراء على إمرأة واحدة مما أدوا إلى التغزل بكثير من النساء،وكذلك براعة وجودة الوصف لمفاتن المرأة والجواري، كما غلب على شعرهم الإطار القصصي في وصف مغامراتهم الغرامية ووصف القامة والمشية وبشرة الجسم وأعضائه، وأيضا نجد الحوار ضمن القصيدة: قالت، قلت[3] ،حيث يقول عمر بن أبي ربيعه لما شغل تلاث أخوات به:

قالت الكبرى أتعرفين الفتي**** قالت: الوسطي نعم هذا عمر

قالت ألصغري وقد تيمتها****قد عرفناه وهل يخفي القمر

والوحدة الموضوعية والرقّة والعذوبة في الألفاظ وفن الترسل في الأبيات أي القصيدة عبارة عن رسائل بينه وبين محبوبته.

ب- الهجاء: لقد ذم الشعراء الأمويين وهجوا من خالف سياستهم وشجعوا صور الهجاء بسبب العصبية الحزبية (التعصب الحزبي)،حتى تولدت في هذا العصر حرب كلامية ما يسمى "بشعر النقائض" بين جرير والفرزدق والأخطل، حيث أصبحت النقيضة عبارة عن نقاش سياسي تعصبي.

إن كثرة الأحزاب السياسية من شيعة وخوارج ومعتزلة ... أدت إلى ظهور الهجاء المقذع بين الشعراء،حيث أصبح كل شاعر يفتخر ويمدح حزبه وانتمائه إليه ويهجوا ويقذع في الحزب المعارض له حيث أخذ الشعراء يهجون خصومهم بانحرافهم عن الدين فأطالوا في وصفهم بالظلم والبغي والطغيان كقول جرير في آل المهلب.[4]

آل المهلب فرطوا في دينهم *** وطغو كما فعلت ثمود فبارُوا

إن الخلافة يا ابن دحمة دونها *** لُجَج تضيق بها الصدور غمار

هل تذكرون إذ الحساس طعامكم *** وإذ الصفاوة أرضكم وصُحارُ

---

[1]– شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، 1974.، ص 380.

[2]– جرير، الديوان، بيروت للطباعة والنشر د ط، 1406 هـ-1986م، ص 474.

[3]– نور الدين مهري، النص الأدبي القديم، ص 74-75.

[4]– شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص 411.

رقصت نساء بني المُهلب عُنوةً *** رقص الرِئال ومالهن خمارُ[1]

ودائما يرمي شعراء الشيعة الأمويين بالظلم وانتهاك الحرمات وتعطيل أحكام الدين وابتداع ما لم يأت به كتاب ولا سنة مثل قول الكميت بن ريد الأسدي:

لهم كل عام بدعة يحدثونها *** أزلّوا بها أتباعهم ثم أَوْحَلُوا

كما ابتدع الرهبان ما لم يجئ به *** كتاب ولا وحي من الله منزلُ

تحلُّ دماء المسلمين لديهمُ *** ويحرمُ طلع النخلة المتهدِّلُ.[2]

كما نجد أن الولاة كانوا يشجعوا الشعراء على الهجاء للأحزاب الأخرى مثلما شجع يزيد بن معاوية الأخطل الثغلبي على هجاء الأنصار وأمّنه من غضب والده معاوية بن أبي سفيان يقول:

خلُوا المكارم لستم من أهلها *** وخذوا مساحيكم من النّجار

ذهب قريش بالمكارم *** واللؤم تحت عمائم الأنصار[3]

ج- المدح: لقد مدح الشعراء في العراق الولاة والخلفاء الذين تداولوا على حكم بني أمية فكانوا يمدحون أيضًا نوابهم وأصحاب شرطهم على الخراج. كما مدحوا انتماؤهم لحزبهم السياسي وكما أخْفى الشعراء على ممدوحيهم صفات التقوى والورع وحماية المسلمين. وإن بقي المدح أحيانا يشرئب إلى صفات المدح عند الجاهلين.

فنجد الفرزدق يمدح الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما طاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحّى له الناس حتى أستلم الحجر. وكان حاضرًا الشاعر الفرزدق في ذلك فأنشد يقول:

هذا الذي تعرّف البطحاء وطأته *** والبيت يعرفه والحلُ والحرمُ

هذا ابن خير عباد الله كلّهُمُ *** هذا التقي النقي الطاهر العلم

كما تمدح الشاعرة ليلى الأخلية (ت 80 ه) الحجاج بن يوسف الثقافي وبعد انتهائها أمر لها بخمسين مائة درهم وخمسة أثواب وخمسة جمالٍ حيث تقول:

إذا هبط الحجاج أرضًا مريضة *** تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العُضال الذي بها *** فلام إذا هزَّ القنا سقاها

---

[1]– ديوان جرير، ص 144.

[2]– شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، 1974.، ص 380.

[3]- شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص380.

سقاها دماء المارقين وعلها *** إذا جمعت يوما وخفيف أذاها.

إذا سمع الحجاج صوت كتيبة *** أعدلها قبل النزول قراها[1]

ك- الرثاء: كان الشعراء في هذا العصر يرثون الولاة والخلفاء من بني أمية وكذلك أقربائهم مثل ما نجده عند جرير لما يرثي زوجته فيقول:

لولا الحياء لهاجني استعبار *** ولزرت قبرك والحبيب يُزارُ

ولهت قلبي إذ علتني كَبْرةُ *** دووا التمائم من بنيك صغار

صلى الملائكة الذين تُخيّروا *** والصالحون عليك والأبرارُ[2]

كما طبع الرثاء عامة في هذا العصر بالروح الدينية بالنسبة الذين قتلوا منذ علي بن أبي طالب، وقد تحول مقتل الحسين منذ حدوثه إلى عويل وتفجع رهيب. وكان من يرثون الأمويين يستشعرون هذه الروح في مراثيهم كقول جرير في عمر بن عبد العزيز:

نعي النُعاة أمير المؤمنين لنا **** ويا خير من حجّ بيت الله واعتمرا

حُمِلتُ لأمرا عظيمًا فاصطبرت له *** وقمت فيه بأمر الله يا عمرا

فالشمس طالعة ليست بكاشفة *** تبكي عليك نجوم الليل والقمر[3]

بينما نقرأ في أبيات الفرزدق ما تطرب النفس له في رثائه للخليفة عمر بن عبد العزيز:

كم من شريعة عدلٍ سننت لهم *** كانت أُمِيتتْ وأخرى منك تنتظرُ

يا لهف نفسي ولهف اللاهفين معي *** على العدول التي تغتالها الحفرُ[4]

الفخر: افتخر الشعراء بنفسهم وعزة نفسهم ونسبهم وشرفهم وإلى انتمائهم إلى أحزابهم السياسية وتوجههم الديني وإلى ولائهم إلى الخليفة وهذه أبيات للفرزدق يفتخر فيها بنفسه وبقومه فيقول:

إن الذي سمك السماء بنى لنا *** بيتًا دعائمه أعزُ وأطولً

أحلامنا تزن الجبال رزانة *** وتخالنا جنًّا إذا ما نجهل[5]

---

[1]– ليلى الأخلية، الديوان، تحقيق خليل إبراهيم العطية وجليل العطية وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، د ط، د ت ، ص 121.

[2]– ليلى الأخلية، ص 218.

[3]– ديوان الفرزدق، ص 218.

[4]– نفسه، ص 377.

[5]– نفسه، ص 378.

خصائص الشعر في العصر الأموي:

لقد تميز الشعر العربي القديم بعدّة خصائص نجملها في النقاط التالية :

- التأثير على التصوير رغبة في إبراز الأفكار والمعاني.
- سهولة الألفاظ وعذوبتها ورقتها.
- بناء القصيدة كان على طريقة الجاهلين في تعدّد الأغراض الشعرية في القصيدة.
- الالتزام بموسيقى البحر ونظام الوزن الواحد وحرف الروي والقافية الموحدة.